قراءة

«بتَحنانٍ يَخُطُّ بَرديّته» لديمة محمود دونما أقمار ولا أكاليل

فضحٌ موارب لأسرار الواقع

تحوّل الشاعرة المصرية قصائد ديوانها الاخير إلى مساحة تفرد فيها هواجسها ومشاغلها: من القضايا الشخصية والاجتماعية الضاغطة والحبّ المرتبك، إلى مسائل عمومية مثل المسالة البيئية، والمساواة، والحراكات السياسية

أنس العيلة

تاتي بعض القصائد في مجموعة «بتَحنان يخطّ برديّته» للشاعرة المصريّة ديمة محمود (الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2021) بغتيّة عالية، كما هو الحال في قصيدة «لا تشبه هذا العالم»، التي أعدتْ قراءتها عدّة مرّات، من باب المتعة الشخصيّة. قصيدة بإيقاع مُتقطع، مُتدرّج، من خلال عبارات متفاوتة الطول، وجُمل مُعترضة، ومُفردات بين قوسين، وجمل استفهاميّة، كأنّ تقاطعها وتناوبها دفقاتُ إيقاعيّة متداخلة في موسيقى جاز، وتطغى عليها، كما هو الحال في مجمل قصائد المجموعة، نغمةُ تشي بمزيج من السوداوية والسخرية، كنتاج لعالم تنخرط فيه الشاعرة ولا يتوانى عن إثارة خيبتها، بينما لا تتوقف عن مناكفته.

تصبّ الشاعرة في القصيدة كلّ هواجسها المعاصرة، والآنيّة، والتي عليها مواجهتها، واجتيازها، والتحايل عليها أو السخرية منها. قضايا اجتماعيّة ضاغطة عليها شخصيًا، وإن اكتفت بالمرور عليها سريعاً، لتعود إليها في قصائد أخرى، أحياناً تكتفي بذكرها، فلا مجال للإطالة ربما، فهناك قضايا أخرى ساخنة وملحّة تلتفّ حول معصمها. إنّ القصيدة «عالَمٌ» - وهي المفردة الأكثر تردّداً في مجموعتها، حتى أنّها تصل إلى ثلاث مرّات في نفس القصيدة وتتكرّر في العناوين - مفتوحٌ على كلّ هذه الحوادث والأحداث والملابسات التي تتداخل بيوميّات الشاعرة وتشكّل أجندتها، وتُولّد هواجسها، وتتسرّب إلى أحلامها: قضايا البيئة، والمساواة، وثورات الربيع العربي، والمظاهرات، والحسّ الشخصي المرتبك، والرؤوس النوويّة، والإضرابات العماليّة والنقابيّة، وكلّ ما سيشغل العالم بالعشرين سنة القادمة:

«ماذا سيحدثُ - يعني - لو استبدلنا نصفينا في محاولةٍ للتَّصدّي؟
وقلنا: إنّ الزَّبدة نصفُ المجتمع
وبفرشاةٍ لدهن الجدرانِ لوّنّا نصفينا
العلويّين بالأخضر
كدعم لمناصري البيئة
واستبدلتُ ساقي بعمود إنارة؛ لأجرّب
معاناةَ المخذولين
بينما تصبحُ ساقكَ مطرقةً في يد صبيّ خرّاط
ماذا سيحدثُ لو قلنا: «لا شيء خارج النصّ»؟
لا شيءَ داخله كذلك!
البيضةُ لمّا تزل بيضة
والشعراءُ سماسرةٌ حمقى بين الواقع والفنّ
هل أعيرك حمّالة ثديي الآن من باب المساواة؟».

تأتي بعض العبارات بسخرية تدفع للابتسام؛ الشاعرة تدافع عن المساواة، ولا يمنعها ذلك من التعبير عن الأمر بصورة طريفة، مضحكة، ربّما كاقتراح لحلّ ساحر في ظلّ تأزّم القيم وصعوبة تحقيقها على أرض الواقع. والشعراء سماسرة، ورغم أنّ السمسار في اللغة وسيطٌ ممتلئ وحرّ مقارنة بالوكيل، إلّا أنّ مقارنة الشعراء بالسماسرة سخرية منهم واستخفاف بمهمّتهم التي لا تتعدّى التردّد والتراوح بين طرفين، كأنهم في ورطة، هي ورطة الشاعرة أيضاً. ويظهر انشغالها بهذا العالم الضاج، قربها وحولها، في قصائد أخرى عديدة، مثل قصيدة «على القضبان».

قصائد تُظهر قدرةً على التامّل الحادّ والسخريّة الموزونة

ما يميّز عمل الشاعرة أنّها تطوّع قصيدتها لقضاياها اليوميّة، وانشغالاتها القريبة والبعيدة، ولا تتوانى عن ذكر عبارات لها مُسمّيات إداريّة، كالنقابات العماليّة، والبرلمان، كما في قولها: «لن تتوقّف عنصريّة تَحَدُّ، كوتة، المرأة في البرلمان أو بناء الكنائس». ويبدو هنا أنّه لا يمكن استبدال كلمة «كوتة» بكلمة عربيّة فصيحة، لأنّ لها دلالة خاصّة تحيل إلى النقاشات والأجواء والسجالات الدائمة في المجتمع، وهي شائعة ومستخدمة كثيراً في اللغة اليوميّة إلى حدّ الآلفة التي لا يمكن أن تتوفّر ربما لكلمة عربيّة سليمة لها نفس المعنى وموجودة في قواميس اللغة! وتلجأ أيضاً إلى مفردات من اللغة المحكيّة شائعة كثيراً، مثل «يعني» التي تُستخدم عادة لتوضيح الحديث في اللغة المحكيّة، أو إعادة القول بطريقة أخرى، أو تَمنّي شيء ما كما في قولها: «ماذا سيحدثُ - يعني - لو استبدلنا نصفينا في محاولةٍ للتَّصدّي؟»، بحيث تصبح قصيدتها مسرحاً تظهر عليه كلّ هذه المسائل والقضايا، وتعالجها بلغة نثريّة بعيداً عن الغنائيّة، أو الجماليّة الفائضة، أو التعامل الوجداني مع الواقع.

وتصل بقصيدتها إلى محاكم الدولة، كما في قولها: «السديم وحده المخوّل بصهر قوائم الادّعاء العام ومرافعات المحاكم». ولا تنفي من توظيف صور تكاد تكون مُقزّزة: «تلعقُ قبحنا قبل أن يسابقنا الكولونياليّون، حتى إليه»، فهي لا تبحث عن لغة تجمّل بها الواقع، بقدر انشغالها بالتعبير عنه ورسمه على حقيقته في أقبح صوره.

تجد الشاعرة في قصيدة النثر متّسعاً لها، بما تمنحه لها من حرّية في اختيار مفردات تقريريّة وتكنوقراطيّة، وعبارات طويلة تخرج عن أيّ إيقاع ضيّق، تنهض بها في انعطافة أو مفارقة لغويّة نكاد لا نلاحظها من شدّة اقترابها من الحقيقة، كقولها: «لماذا يربط الإقطاعيون أوهامنا مع كتلهم الإسمنتيّة وقراهم السياحيّة»؛ كما يبدو ذلك في ربط هشاشة «الأوهام» بصلابة «الإسمنت». وتتوقّف في عبارات أخرى مُمسكة بحقيقة من ذيلها، كأنّها فرخ حمام كاد أن يفرّ من أمامها: «في ذيل الفكرة تقطن الحقيقة».

(شاعر وناقد فلسطيني مقيم في باريس)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

ديمة محمود (تصوير: إغر حارمي إيكيو)

انشغال باللحظة

عند الانتهاء من قراءة مجموعة ديمة محمود الاخيرة، نخرج بانطباع قويّ بأنّ القصائد مشغولة باللحظة الآنيّة، وبأن عودتها إلى الماضي هي فقط لأنّه امتداد عكسيّ للحاضر، وذكرها للمستقبل لأنّه استمرار للحظة التي «تعيشها» و«تكابدها» من أكثر من جانب. وهذا ما يضمن لقصيدتها صورا حيّة في الغالب، من الطرافة والجدّة ما يجعلها مُلفتة، مثل قولها: «أقسّم أحلامي فقط في مُدُوّر»، وأيضا: «هذا العالم به متّسع لشبهاتنا».

مقتطف

من رحلة عزيز نيسين إلى مصر

في اجتماع «اتحاد كتّاب آسيا وأفريقيا»

يستكمل الكاتب التركي (1915 - 1995) سردَ رحلته إلى مصر عام 1966، في كتابه «الدنيا قدرٌ كبير وأنا مغرفة». هنا مقتطف يضمّ كلمته التي ألقاها في اجتماع «اتحاد كُتّاب آسيا وأفريقيا» والتي تعكس أسئلة ما زالت راهنة

ترجمة: أحمد زكريا
ومِلاك دينيز أوزدمير

كانت أحاديث اجتماعات «اتحاد كُتّاب آسيا وأفريقيا» باريع لغات (العربية والفرنسية والروسية والإنكليزية) وكان حديثي فيها كالتالي:

«الأصدقاء الأعزاء... لن آخذ كثيراً من وقتكم، فقط سأذكرُ لهيئة الاتحاد بعضاً من أمنياتي ونقدي أيضاً. لقد شاركتُ لأربع مرّات في اجتماعات لجنة «اتحاد كُتّاب آسيا وأفريقيا»، ورأيتُ أنّ بعض الكُتّاب يشاركون بشكل فرديّ حيث يُدعَون بهذا الشكل. ولكنّ، إذا شارك الكاتب باعتباره ممثّلاً لاتحاد الكُتّاب في بلاده، فسيكون مسؤولاً عن تمثيل هذا الاتحاد الذي أرسله بالنيابة عن جميع أعضائه، وهكذا سيكون لديه الحقّ في نقد «اتحاد كُتّاب آسيا وأفريقيا»، وسيكون مسؤولاً أيضاً في الاتحاد. أمّا إذا حضر بشكل فرديّ فسيكون مجرّد ضيف، والضيف لا يمكنه تجاوز الحدود في النّقد. وكما تعلمون، فإنّ كلّ المؤسّسات الثقافيّة بحاجة إلى النّقد، ولذلك أوّل ما أطلبُه منكم ألّا يُدعى الكُتّاب بشكل فردي.

أريد أن أعرض عليكم مثالاً للكاتب عندما يشارك في اجتماعات «اتحاد كُتّاب آسيا وأفريقيا» ممثّلاً لاتحاد الكُتّاب في بلاده، وكيف يكون فعّالاً وصاحب مسؤوليّة بهذا الشكل. توجد في تركيا نقابة للكُتّاب الأتراك وأنا رئيسها. وقد اقترحتُ على مجلس إدارة النّقابة أن تصبح النقابة عضواً في «اتحاد كُتّاب آسيا وأفريقيا»، وسألوني عن السبب، فقلتُ: «إنّ هذا الاتّحاد يتكوّن من كُتّاب من آسيا وأفريقيا وهو مؤسّسة تقدميّة عالميّة». ثم سألوني هذه الأسئلة: «لقد عقد اتحاد كُتّاب آسيا وأفريقيا اجتماعاً في مانيلا بالفيليبّين عام 1975، وفي هذا العام أعطوك «جائزة لوتس». والعالم كلّه يعرف دكتاتوريّة الفيليبّين، ألا يوجد كُتّاب مسلمون في هذا الاتحاد أو على الأقل جاؤوا من بلد مسلم، ألا يعرفون أنّ وقت عقدهم للاجتماع كان الدكتاتور فرديناند ماركوس يقتل المسلمين في بلاده؟ وبالتأكيد شارك في هذا الاجتماع أيضاً كتّاب شيوعيّون أو على الأقل جاؤوا من بلاد شيوعيّة، ألم يسمعوا بقتل هذا الدكتاتور للشيوعيّين في بلاده؟ وهناك كُتّاب ليبراليون أيضاً شاركوا في هذا الاجتماع بالتأكيد، لقد أغلق هذا الدكتاتور الأحزاب الليبراليّة وقام بسجن الليبراليّين ونفيهم.

يوجد بالتأكيد كُتّاب مؤمنون بالإنسانيّة، وشاركوا في هذا الاجتماع، كان ينبغي على الأقل ألّا يوافق هؤلاء على قتل المسلمين والشيوعيّين وسجن ونفي الليبراليّين. بالتأكيد من الجيّد أن تشارك نقابة الكُتّاب الأتراك في «اتّحاد كُتّاب آسيا وأفريقيا»، ولكن يجب أن نعرف أوّلاً لماذا عقدوا اجتماعهم عام 1975 في مانيلا؟». هكذا سألني أصدقائي في النقابة، ولم أستطع أن أجيبهم إجابة كافية، لأنني لا أعرف الإجابة أيضاً.

الطلب الثاني:

شاهدتُ في كلّ الاجتماعات التي شاركتُ فيها للاتحاد العديد من النّقاشات، حول الأحداث السياسية التي تجري في كلّ العالم تقريباً، لكنّني لم أسمع حديثاً واحداً عن مشاكل الكُتّاب أنفسهم، وأريد أن أذكر مثالاً على ذلك. إنني لم أر في الفيليبّين أو حتى هنا كاتباً إيرانيّاً واحداً، ألم يُدعَ أيّ كاتب من إيران، أم أنكم دعوتم كُتّاباً من هناك ولم يشاركوا؟ أريد أن أعرف سبب ذلك، لأنّ كثيراً من الكُتّاب الإيرانيين في السجون الآن، وقسماً آخر في المنافي أو تحت ضغوط عديدة في بلاده.

يوجد من بين أصدقائنا الكُتّاب الإيرانيين من يُقتل الآن، مثلاً، قُتل الكاتب صمد بهرنجي. فهل سبب عدم مشاركة الكُتّاب الإيرانيين هو ضغط النظام الإيراني؟ إذا كان الأمر كذلك، فهذه ضمن مشاكلنا ككُتّاب، ويجب أن نتحدث عن هذا النوع من المشاكل أيضاً، وأن نلعب دوراً مهماً في هذا السياق، بأن نُسمع العالم أصواتنا ونريه ردود أفعالنا حول ما يتعرض له أصدقاؤنا الكُتّاب. ربّما يحدث هذا أيضاً مع كُتّاب من بلاد أخرى أو سوف يحدث.

إنّني أؤمن أنّ أصدقائي الكُتّاب في هذا الاجتماع قد مرّوا جميعاً بظروف قاسية في بلادهم، كالسجن وغيره، حتى استطاعوا بعد ذلك أن يصبحوا كُتّاباً كباراً ويشاركوا في تكوين الرأي العام في بلادهم. ولذلك فأنتم تعلمون جيداً أنّ تضامن المؤسّسات العالمية مع

المؤسّسات الثقافية بحاجة إلى من ينقدها لا إلى ضيوف

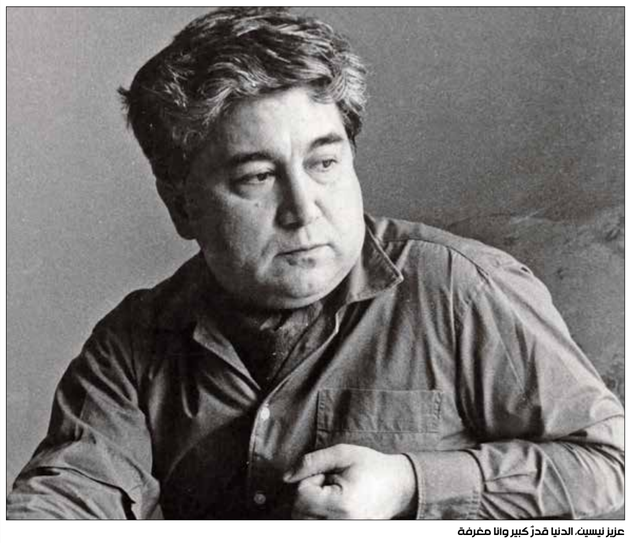

عزيز نيسين، الدنيا قدرٌ كبير وأنا مغرفة

الكاتب السجين تُكسبه قوة في سجنه وتعطيه أملاً في ظلّ ما يتعرض له، ونحن نعرف جميعاً ما يتعرض له الكُتّاب في سجون بلادنا.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

إطلالة

درسُ غوغول وزملائه وراءَ الحدود

معطف روسي لكاتب أوكراني

«تحية إلى غوغول»، لـ مارك شاغال، 1917

انتقد غوغول فساد روسيا ودافع عن المقهورين، فنقم عليه حكّامها؛ والظاهر أنّهم لا يزالون ناقمين عليه وهم يمزّقون «المعطف» في بلده أوكرانيا

ممدوح عزام

«كلّنا خرجنا في أدبنا من معطف غوغول». هذه هي العبارة التي تُنسب مرّة إلى دوستويفسكي، ومرّة إلى تورغينيف، في القرن التاسع عشر. ولعلّ مجرّد نسبتها إلى أحد هذين الكاتبين يكفي كي تكون شهادة على قيمة هذه القصّة وأثر كاتبها في تاريخ الأدب الروسي. «المعطف» واحدة من أكثر القصص تأثيراً في النفس البشرية، وقد اشتُهرت في العالم كلّه وتُرجمت إلى معظم اللغات، ومن حسن الحظ أنها ترجمت إلى العربية أكثر من مرّة. وهي تضعنا أمام واحدة من المهام الصعبة في تاريخ الأدب: ما الذي يجعل منها تحفة أدبية خالدة تعيش وتنتشر في لغات الأرض كلّها تقريباً؟ وما الذي جعلها مهمّةً أساساً لأدب كبير مثل الأدب الروسي، وماذا في شخصية أكاكي أكاكيفيتش غير الخوف والرضوخ والذلّ كي يصبح بمثل هذه الأهمّية الإنسانية العظيمة، أو كي يتحوّل إلى واحدة من الشخصيات المشهورة في تاريخ الأدب مثل دون كيخوته، أو لير، أو هاملت، أو كارامازوف، أو غوريو، أو جوليان سوريل؟

إنه ذلك التعاطف الإنساني العميق الذي يتمكّن غوغول من ترسيخه لدى القارئ الذي يجد نفسه وقد تقمّص شخصية هذا الموظّف البسيط الفقير، الذي يتعرّض لسرقة المعطف الذي اشتراه بعد أن حرم نفسه من كلّ المتع، ولم يهنأ به أكثر من يوم، بينما قويل من ناحية البوليس بازدراء ولا مبالاة أودبا بحياته. ترجّح الجملة التي افتتحتُ بها المقالة أن قصّة غوغول كانت هي الأساس الذي بُنيت عليه القصّة القصيرة في الأدب الروسي، غير أن شخصية أكاكي أكاكيفيتش سوف تكون النموذج الذي يستقي منه كثيرٌ من كتّاب القصّة الكبار في العالم ملامحَ شخصياتهم.

لا يستطيع قارئ «المعطف» التخلّص من تأثير مصير بطلها عليه

حيث نرى ذلك الشخص الضعيف المغمور الذي يرزح تحت وطأة ضعفه وعجزه من جهة، وقسوة وانعدام الرحمة في الواقع الذي يعيش فيه، من جهة ثانية. لا يستطيع أيّ قارئ لهذه القصة أن يتخلّص من تأثير المصير الذي آل إليه هذا الرجل المقهور، ولعلّ طريقة كتابتها الساخرة، التي تبدو من حيث الظاهر عديمة الرحمة تجاه الشخصية الضعيفة والمستسلمة لقوّة القهر، قد ساهمت هي أيضاً في زيادة أثرها. غير أن درس الأدب الإنساني ليس هنا وحسب، بل في ذلك الإجماع بين الكتّاب الروس على قيمة غوغول في الأدب الروسي، وغوغول أوكرانيٌّ في الحقيقة، وقد انتقل للعيش في روسيا بعد أن تجاوز سنّ الشباب، وله مجموعة قصصية شهيرة عن الحياة في أوكرانيا هي «أمسيات في قرية قرب ديكانكا»، لكنّ الكتّاب الروس في القرن التاسع عشر اعتبروه كاتباً روسياً، وقال بيلنسكي إنه يقف على رأس الأدب الروسي، ومدحه نيكراسوف وتشرنشيفسكي، ويمكن لأدب غوغول أن يكون هجاءً مريراً لكلّ الفساد الرسمي الذي كان يسم روسيا، مقابل الفقر والذلّ الذي عانى منه شعبها، وهو الأمر الذي جعل الحكّام ضدّه، والكتّاب والفنّانين إلى جانبه. والظاهر اليوم أن الحكّام لا يزالون ضدّ غوغول، وهم يمزّقون المعطف في بلاده، ولم يصل إلينا بعدُ ما الذي يقوله الكتّاب والفنّانون الروس عن المذبحة التي تُرتكب هناك.

(روائي من سورية)

فعاليات

تقيم المغنية المصرية **رنا حجّاج** (الصورة)، عند الثامنة من مساء الاربعاء المقبل، حفلا على خشبة المسرح الصغير في **دار الاوبرا** بالقاهرة، ويصاحبها العازفان مينا **سامي** و**عامر بركات**. تحترف حجّاج العزف على آلة الكمان منذ اكثر من خمسة عشر عاما، كما تؤدّي مقطوعات تنتمي إلى موسيقى الجاز.

حتى الثالث من الشهر المقبل، يتواصل في «غاليري سلاغير بيل» بلندن، معرض **متحف السودان البديل** للتشكيلي السوداني **امادو**. افتُتح المعرض في الرابع عشر من الشهر الماضي. يستخدم الفنّان بطاقات بريدية، وصورا فوتوغرافية، ومحفوظات شفوية للتعبير عن استغلال الشعوب الافريقية منذ العصور الاولى حتى الوقت الحاضر، إن كان من قِبَل الاستعمار او السلطات المحلّية.

تنطلق عند السابعة والنصف من مساء الإثنين المقبل فعاليات الدورة الحادية والعشرين من **مهرجان ايّام البقعة المسرحية** في «المسرح القومي السوداني» بمدينة ام درمان، وتتواصل حتى التاسع عشر من الشهر الجاري. يشارك في المهرجان الذي توقّف في العام الماضي، خمسة عشر عرضاً تمثّل احد عشر بلداً.

في «فضاء كَليم للفنون» بحيّ الحمرا في بيروت، يُفتتح، اليوم الجمعة، معرض «**كلمات من الفنّ**» للتشكيلي اللبناني **إيمانويل غيراغوسيان** (1954)، حيث يستمر حتّى الرابع عشر من أيّار/ مايو الجاري. يشتغل الفنان على انماط تجمع بين التجريد والاشكال البشرية، في استلهام من اسلوب والده، **بول غيراغوسيان**.